أولاً

أبحاث التفسير وعلوم القرآن

أسباب الرزق الإيمانية
ودورها في حل الأزمات الاقتصادية
في ضوء القرآن الكريم

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الدكتور/ عبد الرحمن السيد عبده الباز

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة

ملخص البحث باللغة العربية

"أسباب الرزق الإيمانية ودورها في حل الأزمات الاقتصادية في ضوء القرآن الكريم"

عبد الرحمن السيد عبده الباز

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، دمياط الجديدة، مصر.

البريد الإلكتروني: abdelrahmanelbaz1982@gmail. com

الملخص:

قضية الرزق من أهم القضايا التي ينشغل بها كثير من الناس، ومعظم الهموم والأحزان التي تصيبهم بسبب تدبير معاشهم، والله – ﷻ – قد ضمن لجميع الخلائق أرزاقهم وقدر لهم أقواتهم، وهو – سبحانه – له الحكمة البالغة في الخلق والتقدير والسعة والتقتير والتضييق على عباده والتيسير، وقد حثنا القرآن الكريم على الأخذ بأسباب الرزق الإيمانية من تقوى الله – ﷻ – والتوكل عليه وصدق اللجوء إليه والدعاء والبكاء بين يديه والإنابة والافتقار إليه وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى خلقة والتفرغ لعبادته، وغير ذلك من الأسباب التي أرشدنا القرآن إليها ودلنا عليها.

وقد بدأت البحث بالتعريف ببعض المصطلحات الواردة في عنوان البحث، وذكر بعض أنواع الرزق. ثم تحدثت عن بعض السنن الإلهية المتعلقة بموضوع الرزق ثم تحدثت عن أسباب الرزق الإيمانية في القرآن الكريم وبيان أثرها البالغ في كشف الأزمات وتفريج الكربات وتيسير الأرزاق وحلول البركات.

الكلمات المفتاحية: أسباب الرزق الإيمانية، حل الأزمات الاقتصادية، ضوء القرآن الكريم.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Provision's faith causes and their role in solving economic crises in light of the holy Quran

Department of Interpretation and Quranic Sciences ،Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys ،Al-Azhar University ،New Damietta ، Egypt.
Email: abdelrahmanelbaz1982@gmail. com

Summary:

One of the most important matters which get interest of most people is provision. Most their

sorrows and burdens are caused by earnings' matter. Allah glory be to Him has guaranteed for everyone his earnings and pre-knew his food in His preserved book. To Him only belongs the ultimate wisdom in creation ،pre-knowledge ،generosity ،limitation ،hardship and easiness for His worshippers. The Quran has urged us to take the faith causes of provision like piety and dependency on Allah ،supplication and crying to Him ،being good to parents ،strengthening relationships with kens ، and others. These great causes have a great impact in solving crises ، removing hardship ،easing the way to earnings ،and having blessings. Pushed by the importance of this topic ،Allah has guided me to naming this research as “Earnings’ faith causes and their role in solving economic crises in light of the holy Quran” in order to participate in the second scientific world forum of the faculty of Religion principles and Dawah in Al-Minofiya held under the title “The practical religion procedures in face of international inflation wave”.

Keywords: Reasons for livelihood - faith ،solving economic crises ، the light of the Noble Qur'an.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن قضية الرزق من أهم القضايا التي ينشغل بها كثير من الناس، ومعظم الهموم والأحزان التي تصيبهم بسبب تدبير معاشهم، والله – ﷻ – قد ضمن لجميع الخلائق أرزاقهم وقدر لهم أقواتهم، وهو – سبحانه – له الحكمة البالغة في الخلق والتقدير والسعة والتقتير والتضييق على عباده والتيسير، وله الحمد في منعه وعطائه ونعمائه وبلوائه، فالمنع من الله عطاء والبلاء منه رفعة وارتقاء، "ومتى فُتِحَ للعبد باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء".

وقد حثنا القرآن الكريم على الأخذ بأسباب الرزق الإيمانية من تقوى الله – ﷻ – والتوكل عليه وصدق اللجوء إليه والدعاء والبكاء بين يديه والإنابة والافتقار إليه وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى خلقة والتفرغ لعبادته، وغير ذلك من الأسباب التي أرشدنا القرآن إليها ودلنا عليها. وهذه الأسباب العظيمة لها أثرها البالغ في كشف الأزمات وتفريج الكربات وتيسير الأرزاق وحلول البركات.

ولأهمية هذا الموضوع فقد وفقني الله تعالى لاختيار عنوان هذا البحث: وهو "**أسباب الرزق الإيمانية ودورها في حل الأزمات الاقتصادية في ضوء القرآن الكريم**".

وذلك للمشاركة به في المؤتمر العلمي الدولي الأول بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة المنعقد بعنوان: "التدابير الشرعية العملية في مواجهة موجة الغلاء العالمية".

وهذا البحث يتكون من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

أما المقدمة: فتشتمل على خطة البحث.

وأما التمهيد: فيكون في التعريف ببعض المصطلحات الواردة في عنوان البحث، وذكر بعض أنواع الرزق.

وأما المبحثان **فالمبحث الأول:** بيان بعض السنن الإلهية المتعلقة بموضوع الرزق.

والمبحث الثاني: أسباب الرزق الإيمانية في القرآن الكريم.

وأما **الخاتمة** فتشتمل على النتائج والتوصيات، ثم أختم بذكر مراجع البحث.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

هذا التمهيد يشتمل على التعريف ببعض المصطلحات الواردة في عنوان البحث، وذكر بعض أنواع الرزق فيشتمل على ما يأتي:

أولاً: التعريف بالسبب.

ثانيـًا: التعريف بالرزق.

ثالثـًا: معنى أسباب الرزق الإيمانية.

رابعـًا: ذكر بعض أنواع الرزق.

أولاً: التعريف بالسبب:

السَّبَبُ: كلُّ شيءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلى غَيْرِهِ، الجمع الأسباب، فكلُّ ما يُتَوصّلُ بِهِ إِلى الشيءِ، فَهُوَ سَبَبٌ. وجَعَلْتُ فُلانـًا لِي سَبَبـًا إِلى فُلانٍ فِي حاجَتي أَي وُصْلة. ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، (أَي الوُصَل والقرابة والمَوَدَّاتُ) والمعنى: انقطع تواصُلُهم فِي الدُّنْيَا وأعيتهم الْحِيَل، وأَسبابُ السَّمَاءِ: أَبوابُها ومَراقِيها، وَاللهُ ﷻ مُسَبِّبُ الأَسْبابِ، ويطلق السّببُ على: الحَبْلُ، ومنه قوله ﷻ: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥]. . الآية معناه: فليمدد حبلًا في سقفه، ثم ليقطع، أي ليمد الحبل حتى ينقطع، فيموت مختنقا أو فليمت غيظًا

ويطلق السَّبَب على القويّ الطويل مِنَ الحِبال، وَلَا يُدعى الحبلُ سَببـًا حَتَّى يُصْعَد بِهِ، ويُنْحَدَرَ بِهِ. والمراد بأسباب الرزق: طرقه وأبوابه التي يسعى العبد فيها لتحصيل رزقه.[١]

---

(١) ينظر: لسان العرب ١ / ٤٥٨ مادة (سبب)، وتاج العروس من جواهر القاموس (٣ /٣٩) مادة (سبب).

ثانياً: التعريف بالرزق:

الرزق: الرِّزق بالكسر، ما يُنتفع به، والجمع أرزاق، وبالفتح، المصدر، والرزق أيضاً: العطاء، والرَّزاق: هو الله ﷻ.(١) قال ابن منظور: الرَّزق بفتح الراء هو المصدر، والرِّزق بالكسر هو الاسم، ويجوز أن يوضع موضع المصدر، قال: والرزق معروف، والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم.(٢)

ويأتي الرزق بمعنى: الشكر، وَمِنْه: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ [الواقعة: ٨٢] أَي شكركم.(٣)

وقد يُسَمَّى المطر رَزْقاً، وذلك قوله ﷻ: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجاثية: ٥].(٤)

قال الجرجاني: "الرزق: اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله ".(٥)

وقال القرطبي: "الرزق، حقيقته: ما يتغذى به الحي، ويكون فيه بقاء روحه ونماء جسده، ولا يجوز أن يكون الرزق بمعنى الملك، لأن البهائم ترزق وليست يصح وصفها بأنها مالكة لعلفها"(٦).

ثالثاً: التعريف بأسباب الرزق الإيمانية:

أسباب الرزق نوعان: أسباب مادية: وهي طرق السعي المشروعة ووسائل الكسب المعلومة.

---

(١) القاموس المحيط ٢٣٥/٣ مادة: (رزق)، ومقاييس اللغة (٢ / ٣٨٨) مادة: (رزق).

(٢) لسان العرب ١١٥/١٠ مادة: (رزق)، وينظر أيضًا: النهاية في غريب الحديث (٢١٩/٢).

(٣) جمهرة اللغة (٢ / ٧٠٨) مادة: (ر ز ق).

(٤) الصحاح (٤ / ١٤٨١) مادة: (ر ز ق).

(٥) التعريفات (ص ١٤٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٩).

وأسباب إيمانية – موضوع هذا البحث–: وهي الأعمال الصالحة التي ذكرت في القرآن الكريم وبينتها السنة النبوية ليستعين بها الإنسان في تفريج همه وتنفيس كربه وقضاء حوائجه، والتي يستجلب بها معية الله للعبد كالصلاة وذكر الله والاستغفار والتقوي والتوكل على الله –ﷻ– وغير ذلك.

وليس معنى الأخذ بالأسباب الإيمانية ترك الأسباب المادية فهي سنة الله –ﷻ– في خلقه وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] وإنما المقصود ألا يغفل المؤمن –خلال سعيه في الأسباب المادية– عن الأسباب الإيمانية فبها انشراح صدره وطمأنينة قلبه وتفريج همه وقضاء حاجته وتيسير رزقه.

رابعاً: ذكر بعض أنواع الرزق:

عندما نطلق لفظ الرزق ينصرف ذهن الكثير إلى المنافع الظاهرة التي تعود على البدن بالنفع من المال والمسكن والمأكل والمشرب وغير ذلك. . . وليس الأمر كذلك. . . لأن مفهوم الرزق أوسع وأشمل من هذه المنافع[(١)]؛ فلا يشترط أن يكون الرزق مالا محسوساً، أو عرضاً فانياً، بل إن الرزق: هو كل عطاء من الله للعبد مادي أو معنوي.

فالعلم النافع رزق، والصحة والعافية رزق، والولد الصالح رزق، والزوج الصالح رزق، والرضا بما قسمه الله رزق، والعمل الصالح رزق، والحكمة في القول والفعل رزق[(٢)]؛ والناظر إلى

---

(١) فالرزق أعم من المال فكل مال رزق، وليس كل رزق مالاً، فالمال: كل ما يملكه الإنسان من الذهب والورق والإبل والغنم والرقيق والعروض وغير ذلك، أما الرزق فمنه ما هو ظاهر للأبدان ومنه ما هو باطن للأرواح. (ينظر: الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٧٥)، ولسان العرب ١١٥/١٠مادة: (ر ز ق).

(٢) كما قال القائل:

ليس شرطاً أن يكون الرزق مالًا ... قد يكون الرزق خلقاً أو جمالاً

=

عطاء الله لأنبيائه وأصفيائه وأوليائه يرى أن العطاء **الحقيقي** ليس عطاءً مادياً فانياً تزول لذته وتبقى تبعته، إنما العطاء الحقيقي هو العطاء الروحي[١]، العطاء في الأخلاق والصفات والعلوم والمعارف والاتصال بالله تعالى وفهم آياته وصفاته.

وهناك رزق جلي ورزق خفي فالجلي معلوم والخفي كدفع الآفات والمضرات والجوائح والأمراض التي قد تعرض للإنسان، وهذا نوع عظيم من أنواع الرزق.[٢]

قد يكون الرزق عقلًا راجحاً ... زانه الحلم جمالاً وكمالا
قد يكون الرزق زوجاً صالحاً ... أو قرابات كراماً وعيالا
قد يكون الرزق بالًا هادءًا ... إنما المرزوق من يهدأ بالاً

[الأنشودة في العصر الحديث من كلمات د. محمد بن أحمد دوغان - الأستاذ بجامعة الملك فيصل. موقع wiki&dotaa.com].

(١) فالإنسان مكون من جسد وروح والعطاء للروح أسمى من العطاء للبدن قال الإمام الرازي: "واعلم أن المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح، كما قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨**﴾ [النحل: ٧٨] وهذا كالتصريح بأنه تعالى إنما خلق الجسد، وإنما أعطى الحواس لتكون آلة في اكتساب المعارف والعلوم، وأيضا فالأحوال الجسدية خسيسة يرجع حاصلها إلى الالتذاذ بذوق شيء من الطعوم أو لمس شيء من الكيفيات الملموسة، أما الأحوال الروحانية والمعارف الإلهية، فإنها كمالات باقية أبد الآباد مصونة عن الكون والفساد " (التفسير الكبير (١٧ / ٢٤٩)

(٢) أشار إلى نحو هذا المعني المباركفوري في (تحفة الأحوذي) ١٧٧/٦، والمناوي في (فيض القدير) ٥٠٣/٥.

المبحث الأول: بيان بعض السنن الإلهية المتعلقة بموضوع الرزق

لله -ﷻ- سنن كونية لا تتغير ولا تتبدل، يتغير الزمان ويختلف المكان وتتغير الأمم والأشخاص ولا تتغير سنن الله -ﷻ- وقد دل القرآن الكريم على ذلك قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ [فاطر: ٤٣] بعض هذه السنن متعلقة بأمر الرزق نذكر منها ما يأتي:

السُّنَّةُ الأولى: الله -ﷻ- تكفل بأرزاق العالمين مؤمنهم وكافرهم:

الله - تبارك وتعالى - هو رب العالمين وافتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] أي: الثناء الخالص لله جل ثناؤه، بما أنعم على عباده من النِّعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلَّفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وَغذَاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه.(١)

فرَب الْعَالَمِينَ: هو المربي جميع العالمين - وهم من سوى الله - خلقهم ورزقهم وأنعم عليهم بالنعم العظيمة، وهداهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.(٢)

ومن أسماء الله - تعالى - الرزاق كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]

وقد ضمن الله - ﷻ - الرزق لجميع المخلوقات حتى الدواب الضعيفة التي لا تقدر على تحصيل رزقها قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٦٠] فما من مخلوق في هذا الكون إلا وقد يسر الله له رزقه.

---

(١) ينظر: جامع البيان (١ / ١٣٥)

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٩).

ومعنى هذه الآية: أن الله -تعالى- قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم من دابة في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل. لا تحمل رزقها ولا تدخره، لضعفها وعجزها، الله ييسر لها رزقها، فكيف لا يتوكلون على الله كتوكلها على الله مع ضعفها وعجزها.(١)

وصدق الله - تعالى - إذ يقول: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريها، وبريها، وأنه يعلم ﴿مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي: يعلم أين منتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها، وهو مستودعها.(٢)

السُّنَّةُ الثانية: الرزق مقدر للإنسان منذ أن كان في بطن أمه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] أي: إن كل شيء في هذا الكون بقضاء الله سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقته ومقداره.(٣)

فإن الله - ﷻ - يرسل الملك بعد مضي أربعة أشهر وبضعة أيام إلى رحم المرأة فينفخ في الجنين الروح ويؤمر بكتب أربع: يكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.(٤) فالرزق مقدر معلوم منذ أن كان الإنسان في بطن أمه لا يزيد ولا ينقص.

---

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٥)

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٩ / ٣٢٧).

(٤) كما قال النبي ﷺ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ

=

وبين النبي ﷺ أن الرزق يطلب العبد فقال: " إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ "[(١)]، وقال ﷺ: " إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا لَا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ رِزْقِهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».[(٢)]

فعلى الإنسان أن يطلب رزقه بالطمأنينة ولا يطلبه بالقلق، فالانشغال الزائد بطلب الرزق يصرف صاحبه عن المقصود الذي خلق من أجله وهو تحقيق العبودية لله رب العالمين ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فإذا تيقن العبد أن الرزق بيد الله وأنه آتيه لا محالة تفرغ لأداء المهمة التي خلقه الله من أجلها.

السُّنَّةُ الثالثة: أن الله -ﷻ- جعل تفاوتاً بين الناس في الرزق.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦] بين الله - تعالى- في هذه الآية أنه يبسط الرزق لبعض عباده ويضيقه على بعض آخر على ما اقتضته حكمته وسابق علمه بعباده، ولا تعلق لذلك بإيمان ولا كفر، فربما وسع على الكافر استدراجا له وضيّق على المؤمن زيادة في أجره.[(٣)]

سَعِيدٌ". [أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ٢٠٣٦) ح: ٢٦٤٣، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته]

(١) أخرجه ابن حبان صحيحه (٨ / ٣١) ح: ٣٢٣٨ قال الألباني: صحيح لغيره (صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٤٤) رقم: ١٧٠٣)

(٢) رواه معمر بن راشد في الجامع (١١ / ١٢٥) وصححه الألباني في (صحيح الجامع (١ / ٤١٩) ح: ٢٠٨٥.

(٣) ينظر: تفسير المراغي (١٣ / ٩٨)

ومن حكمته -سبحانه- أنه يُنزل الرزق بقدر معلوم لأنه لو وسع الرزق على عباده لأفسدوا في الأرض قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧]

أي: ولو وسَّع الله الرزق لجميع عباده - كما يبتغون - لطغوا في الأرض وظلموا، ولكن الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويُضيقه على من يشاء، حسبما اقتضته حكمته، إن الله محيط علماً بما خفى وظهر من أمور عباده، فيقدر بحكمته لكلٍّ ما يصلح شأنه.(١)

فإذا كان الله -ﷻ- قد قدر لكل إنسان رزقه لا يزيد ولا ينقص فلماذا الهم الزائد لأجل أمور الدنيا؟!

فعلى الإنسان أن يرضى ويقنع فالغنى الحقيقي هو رضا الإنسان عن ربه كما أخبر النبي ﷺ "لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ".(٢)

السُّنَّةُ الرابعة: الذنوب سبب لتضييق الأرزاق، والتقرب إلى الله - ﷻ - بالأعمال الصالحة سبب لكشف الكربات وتنزل الرحمات.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦]

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٣]

---

(١) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٧١٨).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة [أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس (٨ / ٩٥) ح: ٦٤٤٦، ومسلم في كتاب الزكاة باب ليس الغنى عن كثرة العرض (٢ / ٧٢٦) ح: ١٠٥١]

قال الإمام ابن عطية:

ومعنى هذه الآية الإخبار بأن الله - ﷻ - إذا أنعم على قوم نعمة فإنه بلطفه ورحمته لا يبدأ بتغيرها وتكديرها حتى يجيء ذلك منهم بأن يغيروا حالهم، فإذا فعلوا ذلك وتلبسوا بالتكسب للمعاصي أو الكفر الذي يوجب عقابهم غير الله نعمته عليهم بنقمته منهم.[1]

ومما يؤكد ذلك أيضاً قول النبي ﷺ: "إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"[2].

والتاريخ يشهد بأن الذنوب والمعاصي سبب لهلاك الأمم أو إصابتها بالعقوبات والمحن من غلاء أو وباء أو تسلط أعداء أو أمراض أو غير ذلك[3] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢ / ٥٤١)

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (١ / ٣٥) ح: ٩٠ كتاب الإيمان، باب في القدر، وتمامه " «لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها» قال الألباني: حسن دون وإن الرجل (سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٢٨٦) ح: ١٥٤)

(٣) أما هلاك كثير من الأمم بسبب ذنوبهم ففي آيات كثيرة معلومة، منها قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]، وأما المحن التي أصابت الأمة بسبب الذنوب فمنها ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: في عهد الفاطميين في سنة تسع وأربعين وأربعمائة ببغداد انتشر فِيهَا الْغَلَاءُ والوباء وَالْفَنَاءُ: فأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام، وكانوا يشوون الكلاب وينبشون القبور ويأكلون الموتى، وكان الرجل تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب فيقول: أنا أريد كسرة خبز أسد بها جوعي، قل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم. وانتشر الوباء العظيم ببغداد وأذربيجان والأهواز وبواط وأعمالها وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم، فكان يحفر الحفير فيدفن فيه العشرون والثلاثون. وما حدث بالعراق حدث بمصر والحجاز واليمن وبلاد عنزة سنة سبع وتسعين

=

يؤيد ذلك قوله ﷺ: "يا معشر المهاجرين، خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن، ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم".(١)

ففي هذا الحديث بين النبي ﷺ الأسباب التي تودي بالأمة إلى الهلاك وتفسد حياتها وتسبب لها الشقاء في الدنيا والآخرة، وحذر من الوقوع فيها واستعاذ بالله من ظهورها.

وفيه أيضاً بيان أن المعاصي إذا انتشرت في مجتمع من المجتمعات عاقبه الله -ﷻ- بعقوبات ومصائب وأزمات سياسية واقتصادية واجتماعية.

وفيه أيضاً بيان أن المصائب والأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها إذا انتشرت في مجتمع من المجتمعات فإنما هي نتيجة للمعاصي والذنوب وأن الرجوع إلى الله -ﷻ- هو الحل الأمثل لعلاج تلك المصائب والأزمات.

السُّنَّةُ الخامسة: أن الله - تعالى - قد يوسع على الكافر أو العاصي استدراجاً له.

الله - ﷻ - يعطي الدنيا من يحب ومن يكره، ولا يعطي الدين إلا من يحب فعطاءَ الله للعبد، لا يدل على محبته له ورضاه عنه، كما أن منعه - سبحانه - لا يدل على عدمِ المحبة وعدم الرضا،

وخمسمائة ووقع فيها مجاعة وغلاء وباء شديد ومات فيها أكثر من ألف ألف ومائة ألف إنسان. فلما طال ذلك على الناس، كسروا آلات اللهو وأراقوا الخمور ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن، وتابوا ورجعوا إلى الله تعالى فكشف الله عنهم. [ينظر: البداية والنهاية ١٢/ ٨٩، ١٣/ ٣٢].

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢ / ١٣٣٢) ح: ٤٠١٩، كتاب الفتن، باب العقوبات، وصححه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٥٧) رقم: ١٧٦١).

فقد يعطي الله الفاجر أكثر من البارّ، ويوسع على الكافر ويضيق على المسلم، وعطاؤه للكافر أو العاصي على سبيل الاستدراج كما قال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣]

وقال النبي ﷺ : "إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ " ثم تلا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ". [(١)]

وعطاء الله – ﷻ – للكافر أو منعه للمؤمن لحكم يعلمها –سبحانه– فما منع المؤمن إلا ليعطيه وما ابتلاه إلا ليرقيه، ومن أسمائه تعالى الحكيم فكل فعل له علة وكل قضاء وتدبير له حكمة وهو أحكم الحاكمين.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨ / ٥٤٧) ح: ١٧٣١١ قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

المبحث الثاني: أسباب الرزق الإيمانية في القرآن الكريم

وفيه مطالب:

المطلب الأول: الاستغفار.

*** تعريف الاستغفار:**

أصل الغفر: الستر والتغطية، وغفر الله ذنوبه: أي سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ. وكل شيء سترته فقد غفرته، يقال: غفر الرجل متاعه يغفره غفرا: إذا أوعاه.(١) والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هى: وقاية شر الذنوب، ومحوها، وإزالة أثرها، وسترها، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب. و [الغفار والغفور] من أسماء الله تعالى وهما من أبنية المبالغة ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعيوبهم المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم والمغفرة: إلباس الله تعالى العفو للمذنبين.(٢)

* وحقيقة الاستغفار أن يكون بالقول والفعل ولا يكون باللسان فقط، قال الراغب: والاستغفار طلب المغفرة بالمقال والفعال، وقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾[نوح: ١٠] لم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط بل باللسان وبالفعال، فقد قيل الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال فعل الكذابين.(٣)

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٨ / ١١٢) مادة [غفر].

(٢) ينظر: النهاية في غريب الأثر - (٣ / ٧٠٣) مادة [غفر]

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (١ / ٣٦٢)

قال القرطبي " الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان، لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه: أستغفر الله، وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقة بالكبائر"(١).

والذي ينبغي فعله للتائب: أن يأتى بحسنات تضاد ما عمل من السيئات لتمحوها وتكفرها، والحسنات المكفرة تكون بالقلب واللسان والجوارح على حسب السيئات، فما كان بالقلب، فنحو التضرع والتذلل، وأما اللسان، الاعتراف بالظلم والاستغفار، مثل أن يقول: رب ظلمت نفسي فاغفر لى. وأما الجوارح فبالطاعات، والصدقات، وأنواع العبادات.(٢)

قال ابن مفلح: التوبة النصوح تجمع أربعة أشياء: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، وإضمار أن لا يعود، ومجانبة خلطاء السوء.(٣)

وإنما كان الاستغفار سبباً من أسباب الرزق لأن الذنوب هي سبب الحرمان؛ فإذا استغفر العبد ربه وتاب وندم على ما فعل غفر الله له ذنوبه وزال سبب الحرمان فتفتح بذلك الأبواب وتهيأ الأسباب.(٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤ / ٢١٠).

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي ٤١٠/١.

(٣) الآداب الشرعية (١ / ١١٧).

(٤) كما أن الاستغفار والتوبة يجعل الإنسان في مأمن من عذاب الله ﷻ قال تعالى: ﭽﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ[الأنفال: ٣٣]. وقد سبق ذكر بعض الأدلة على أن الذنوب سبب الحرمان في المبحث الأول.

*** الفرق بين التوبة والاستغفار.**

الفرق بين الاستغفار والتوبة: أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والإنابة والتقرب إلى الله تعالى بفعل الطاعات، والتوبة: الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة فلا يجوز الاستغفار مع الاصرار.(١)

وقيل: الاستغفار يكون من سالف ذنوبكم، والتوبة من مستأنف الذنوب التي تقع من العبد.(٢)

ويرى بعض العلماء: أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فالاستغفار بمعنى التوبة عند الافتراق أما عند الاقتران نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣]، فيكون الاستغفار هنا طلب المغفرة باللسان. ووقاية شر ما مضى، والتوبة: الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح والرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.(٣)

فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب، والتوبة: عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح.(٤)

*** والأدلة على كون الاستغفار سبب من أسباب الرزق كثيرة في القرآن الكريم:**

منها قوله تعالى على لسان نوح - عليه السلام -: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٣٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٤).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (١/٣٣٢-٣٣٥).

(٤) ينظر: الفروق اللغوية - (١ / ٤٨)

قال القرطبي: " في هذه الآية والتي في "هود" دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار ".[١]

وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآيات: " أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها"[٢].

وقد شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله. وقال له آخر. ادع الله أن يرزقني ولدا، فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: استغفر الله. فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئا، إن الله تعالى يقول في سورة "نوح": ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].[٣]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٣٠٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨ / ٢٣٣).

(٣) هذا الأثر ذكره القرطبي عن الربيع بن صبيح، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح. (ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٣٠٢)، فتح الباري (٩٨/١١)). والربيع بن صبيح سمع الحسن البصري، وثقه جماعة وضعفه آخرون، لكنه لم يتعمد الكذب، ولا يدلس، قال الحافظ ابن حجر عنه: "صدوق سيء الحفظ، وكان عابدًا مجاهدًا، وقد روى له الترمذي وابن ماجه والبخاري تعليقًا" (ينظر: تهذيب التهذيب (٢٤٧/٣-٢٤٨)، والتقريب (ص ٢٠٦).

قال ابن كثير: "يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠- ١٢] ".(١) وقال الشعبي: خرج عمر- رضي الله عنه - يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا. فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟. فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر. ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢](٢).

* ومن الأدلة الصريحة على أن الاستغفار سبب لرغد العيش وسعادة الدنيا والآخرة قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣]، قال القرطبي: بين الله ﷻ في هذه الآية ثمرة الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة: وهي المتاع الحسن من سعة الرزق ورغد العيش والعافية في الدنيا، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم.(٣)

والآية الكريمة فيها دلالة على أن الاستغفار والتوبة سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعا حسنا إلى أجل مسمى؛ لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.(٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨ / ٢٣٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٧/٣) رقم (٤٩٠٢)، وأخرجه أيضـًا ابن أبي شيبة مسندًا في المصنف (٤٧٤/٢) قال: حدثنا وكيع عن عيسى بن حفص بن عاصم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نستسقي فما زاد على الاستغفار " ورجال هذا السند كلهم ثقات. [ينظر: تقريب التهذيب ص/ ٤٣٨، رقم: ٥٢٩٠، ص: ٣٩٢ رقم: ٤٥٩٨، ص: ٦٧٢، رقم: ٨٣٥٥].

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٤)

(٤) ينظر: أضواء البيان (٢ / ١٦٩).

* ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالى على لسان هود - عليه السلام -: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: " أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره وحفظ عليه شأنه وقوته، وفي الحديث: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب".(١)

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٢٩). والحديث رواه أبو داود في السنن وغيره. (كتاب الصلاة، باب في الاستغفار (٢ / ٨٥) ح: ١٥١٨) وضعفه الألباني بسبب: الحكم بن مصعب (ضعيف أبي داود - الأم (٢ / ٩٧) لكن رمز السيوطي له بالصحة في الجامع الصغير (١٦٦/٢). كما رواه الإمام أحمد في المسند بلفظ " «من أكثر من الاستغفار. . . . . " قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقد ذكر الاختلاف في الحكم بن مصعب ورجح تعديله. (المسند، حديث رقم (٢٢٣٤).

المطلب الثاني: تقوى الله ﷻ

التقوى: في اللغة: والتُّقى والتَّقِيِّ من الوَقايةُ، والوِقاءُ بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية، فالتاء مبدله من واو والأصل (وقى). والاتِّقاءِ اتّخاذ الوقاية، يقال: رجل تقيّ ويجمع أتقياء، معناه أنّه موقّ نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصّالح، وأصله من وقيت نفسي أقيها.(١)

وقال الجرجانيّ: التّقوى في الطّاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد بها التّرك والحذر، وقيل: هى الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك.(٢)

وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريف التقوى:

فقيل: التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، وقيل: هي المحافظة على آداب الشّريعة ومجانبة كلّ ما يبعد المرء عن الله تعالى. وقيل: هي التّجنّب عن كلّ ما يؤثّم من فعل أو ترك. وقيل: هي امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه، بفعل كلّ مأمور به وترك كلّ منهيّ عنه حسب الطّاقة. وقيل: حقيقة التّقوى فعل المأمور به والمندوب إليه واجتناب المنهيّ عنه والمكروه المنزّه عنه.(٣)

وهذه التعريفات كلها تدور حول مفهوم واحد، وهو أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله ﷻ وعذابه، وذلك بامتثال المأمور واجتناب المحظور.(٤)

---

(١) لسان العرب (١٥ / ٤٠٤) مادة: [وقى].

(٢) التعريفات (ص: ٦٥)

(٣) ينظر: التعريفات للجرجاني (ص/٦٥)، والمفردات للراغب الأصفهاني (ص/ ٥٣٠)، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٢١٩).

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم (١ / ٣٩٨)

قال ابن القيم ﷺ: وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانـًا واحتسابا، أمراً ونهيـًا، فيفعل ما أمر الله به إيمانـًا بالأمر وتصديقـًا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانـًا بالنهى وخوفا من وعيده، كما قال طلق بن حبيب: " إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى. قالوا: وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ". وهذا من أحسن ما قيل فى حد التقوى.(١)

* **وترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس يدخل في معنى التقوي** فلا يكون العبد تقيـًا حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامـًا، فلا تحقرن شيئـًا من الخير أن تفعله ولا شيئـًا من الشر أن تتقيه.(٢)

قال الحسن: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام.(٣)

* **والأدلة على أن التقوي من أعظم أبواب الرزق كثيرة:**

منها: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] فقد وعد الله – ﷻ – من يتقيه فيأتمر بأمره ويجتنب ما نهى عنه بأنه –سبحانه– ينجيه من كل كرب، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يخطر بباله، ويقنعه بما رزقه، ويبارك له في رزقه.

قال ابن كثير: أي: ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله، وقيل: إن هذه الآية أكثر آية في القرآن فرجا.(١)

---

(١) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص: ١٣).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم (١ / ٣٩٩)

(٣) المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين (٢ / ٤٤).

ويؤكد معنى هذ الآية قوله ﷺ: " إنك لن تدع شيئًا اتقاء الله جل وعز إلا أعطاك الله خيرًا منه "[٢].

وقال مكي بن أبي طالب في تفسير هذه الآية: ومن يتق الله في أمره ونهيه يجعل له مخرجًا في كل أموره فيرزقه من حيث لا يحتسب، (أي): ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر ولا يعلم وينجيه (من كل كرب) في الدنيا والآخرة.[٣]

ومن الأدلة على أن تقوى الله -عَزَّوَجَلَّ- من أعظم أسباب الرزق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] أي: لو آمن أهل القرى بما جاءتهم به الرسل، وصدقوا به واتبعوه، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات لوسعنا عليهم الخيرات من كل جانب.[٤]

وقال الإمام الرازي: " بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن والسلامة، وذلك لأن السماء تجري مجرى الأب، والأرض تجري مجرى الأم، ومنها يحصل جميع المنافع والخيرات "[٥].

وسر الجمع في قوله: ﴿لَفَتَحْنَا﴾ هو الدلالة على تعدد النعمة باعتبار تعدد أصناف الأشياء المباركة.[١]

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٨ / ١٤٦).

(٢) المسند (٧٨/٥، ٧٩، ٣٦٣).

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢ / ٧٥٣٥).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٤٥١)

(٥) التفسير الكبير (١٤ / ٣٢٢).

*** ومن أنواع الرزق التي يتحصل عليها صاحب التقوى: معية الله ومحبته،** قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤] قال ابن القيم: ومحبة الله تعالى إنما تتحقق باتباع أمره، واجتناب نهيه، فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة.(٢)

وتيسير الأمور: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]

وحصول العلم: قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

والفوز بالجنة والنجاة من النار: قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]

وأي رزق أعظم من هذا الرزق الذي أشارت إليه هذه الآيات الكريمات فمنافع الدنيا زائلة فانية والآخرة هي الخالدة الباقية وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١]

ومع ذلك فإن المتقين قد فازوا بخير الدنيا وثواب الآخرة. . .

---

(١) التحرير والتنوير (٩ / ٢١).

(٢) مدارج السالكين (١ / ١١٩).

*وقد بين لنا القرآن الكريم أن العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة تكون للمتقين الذين امتثلوا أوامر الله واجتنبوا ما نهى الله عنه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ الفاتحة الأعراف: ١٢٨].

فهذا نبي الله يوسف -عليه السلام- لما خاف من الله وفر من امرأة العزير وصبر على المحنة التي ابتلاه الله بها، مكن الله له في الأرض وأصبح عزيز مصر، وكانت المعصية مهيأة له، فقد راودته امرأة العزيز وهو في بيتها عن نفسه وهو غلامها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣] وصار المحل خاليا، وهما آمنان من دخول أحد عليهما، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي: افعل الأمر المكروه وأقبل إلي، ومع هذا فهو غريب، في غير وطنه، وأسير تحت يدها وهي سيدته، وفيها من الجمال، وهو شاب أعزب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم. . . . ومع كل هذه المغريات خاف من الله وصبر عن معصية الله و ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح؛ لأنه مما يسخط الله ويبعد منه. وكانت النتيجة أن رفع الله شأنه ومكَّن له في الأرض ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٦] أي: بهذه الأسباب والمقدمات المذكورة، مكن الله - تعالى - ليوسف في الأرض يتبوأ منها في عيش رغد، ونعمة واسعة، وجاه عريض، رحمة من الله بيوسف -عليه السلام-، وليس عطاء الله مقصوراً على نعمة الدنيا ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: ٥٧].(١)

فهذه عاقبة المتقين وهي إكرام الله لهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (١ / ٤٠٠).

ولذا قال سيدنا يوسف -عليه السلام- في نهاية القصة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف: ٩٠].

* وأيضًا الثلاثة الذين سدت عليهم الصخرة في الغار جعل الله لهم مخرجا بتقواهم وخوفهم من الله -عز وجل-، فالأول اتقى الله- عز وجل- في والديه، والثاني قام عن ابنة عمه -وهي أحب الناس إليه- خوفًا من الله، والثالث صنع عجبًا مع أجيره، حيث ثمر له أجره وأتاه أجره بعد حين فأعطاه أجره وما ثمره له، وبعد أن تقربوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم " انْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ ".[1] اللهم اجعنا من المتقين بفضلك ومنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣ / ٩١) ح: ٢٢٧٢، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد.

المطلب الثالث: اليقين والتوكل

اليقين: هو قوة الإيمان والثبات حتى كأن الإنسان يرى بعينه ما أخبر الله به ورسوله من شدة يقينه.

والتوكّل: هو اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه.[١] قال العلامة القاري: والمراد بالتوكل: هو أن يعلم الإنسان يقيناً أنه لا فاعل في الوجود إلا الله وأن كل موجود من خلق ورزق، وعطاء ومنع، وضر ونفع، وفقر وغنى ومرض وصحة، وموت وحياة، وغير ذلك من الله تعالى.[٢]

قال ابن القيم: منزلة اليقين من الإيمان بمنزلة الرّوح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمّر العاملون، وعمل القوم إنّما كان عليه، وإشاراتهم كلّها إليه.[٣]

وعلامات اليقين ثلاث: النّظر إلى الله في كلّ شيء، والرّجوع إليه في كلّ أمر، والاستعانة به في كلّ حال.[٤]

واليقين أفضل عطاء يعطاه العبد المؤمن، قال أبو بكر- ﷺ -: "لم يؤت أحد قطّ بعد اليقين أفضل من العافية "[٥]

وضعف اليقين هو أصل الرغبة في الدنيا والحرص على التكاثر منها والطمع فيها.[٦]

---

(١) ينظر: زاد المعاد (١٥/٤).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح ١٥٦/٩

(٣) ينظر: مدارج السالكين (٢ / ٣٧٤)

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٥/ ٣٩٦- ٤٠٥). ومدارج السالكين (٢/ ٤١٨).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٨٤) رقم: ٤، قال محققه الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٦) قوت القلوب (١ / ١٧٦).

واليقين قرين التّوكّل، ولهذا فسّر التّوكّل بقوّة اليقين. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا وانتفى عنه كلّ شكّ وريب، وهمّ وغمّ، فامتلأ محبّة لله، وخوفا منه، ورضى به، وشكرا له، وتوكّلا عليه وإنابة إليه، فهو مادّة جميع المقامات والحامل لها.(١)

والأدلة على أن اليقين والتوكل من أعظم أسباب الرزق كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤]

بين الله ﷻ في هذه الآية أن الصبر واليقين تنال بهما الإمامة في الدين.(٢)

-وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

لما رجع النبي ﷺ من "أحد" إلى المدينة، وسمع أن المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا -على ما بهم من الجراح- استجابة لله ولرسوله، وطاعة لله ولرسوله، فوصلوا إلى "حمراء الأسد" وجاءهم من جاءهم وقال لهم: إن الناس قد جمعوا لكم وهموا باستئصالكم، تخويفا لهم وترهيبا، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا بالله واتكالا عليه. ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: كافينا كل ما أهمنا ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه تدبير عباده.(٣)

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٤١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥٨)

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٢ / ١٦٩)

وكانت النتيجة كما أخبر الله تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٤] ألقى الله الرعب في قلوب المشركين، ورجعوا خائبين، ورجع المؤمنون في عزة بنعمة من الله وفضل.(١)

- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣] أي: من يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، في أمر دينه ودنياه، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ﴾ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي [العزيز] الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له؛ فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ﴾ أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكنه ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: وقتًا ومقدارًا، لا يتعداه ولا يقصر عنه.(٢)

ومما يدل على أن التوكل من أعظم أسباب الرزق قوله ﷺ: " لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا "(٣) فالحديث للتنبيه على أن الكسب ليس برازق، بل الرازق هو الله تعالى، لا للمنع عن الكسب فإن التوكل محله القلب فلا ينافيه حركة الجوارح.(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان ت شاكر (٧ / ٤٠٤) وتفسير البغوي (١ / ٥٤١)

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٨٧٠)

(٣) معناه: تذهب أول النهار خماصا: أي ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانا: أي ممتلئة البطون. (النهاية في غريب الأثر - (١ / ٣٥٥) [بطن]، والحديث أخرجه الترمذي في سننه (٤ / ٥٧٣) ح: ٢٣٤٤، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله.

(٤) مرقاة المفاتيح (٨ / ٣٣٢٠).

وقوله ﷺ: "مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللهِ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ "(١).

*** وقد ضرب لنا القرآن الكريم أروع الأمثلة في استفادة الأنبياء والصالحين من خزائن الله -ﷻ- بيقينهم وتوكلهم عليه -سبحانه-:**

*فهذا نبي الله إبراهيم لما أراد قومه أن يلقوه في النار قال: " حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ "(٢) فجاء الأمر من الله -تبارك وتعالى-: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] وجمع بين " بردا وسلاما " لأنه لو قال "برداً " ولم يقل " سلاماً " لآذى إبراهيم بردها.(٣)

*وهذا نبي الله موسى -عليه السلام- لما فر بمن معه من فرعون وأصبح البحر أمامهم وفرعون وجنوده خلفهم كما أخبر الله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ الشعراء: ٦١] وفي هذا الموقف الشديد قال سيدنا موسى -عليه السلام- بكل ثقة وطمأنينة ويقين وتوكل على الله -تعالى-: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢] قال الله تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٣]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك قال: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي. المستدرك وبحاشيته التلخيص (٤٠٨/١) رقم: ١٤٨٢.

(٢) فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: " حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ: قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَام- حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا ﴿ئى ئد ى ي يد ئج ئح ئم ئى ئي بج بح﴾ (أخرجه البخاري صحيحه (٦ / ٣٩) ح: ٤٥٦٣ كتاب الجنائز، باب: من انتظر حتى تدفن)

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٥ / ٣٥١)

أي: لما بلغ فرعون وجنوده قريبا من مكان جموع بني إسرائيل بحيث يرى كل فريق منهما الفريق الآخر. فالترائي تفاعل لأنه حصول الفعل من الجانبين.

وقولهم: إنا لمدركون بالتأكيد لشدة الاهتمام بهذا الخبر وهو مستعمل في معنى الجزع. و ﴿كَلَّآ﴾ ردع، ردع به موسى ظنهم أنهم يدركهم فرعون، وعلل ردعهم عن ذلك بجملة: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ وإسناد المعية إلى الرب في ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ على معنى مصاحبة لطف الله به وعنايته بتقدير أسباب نجاته من عدوه. وذلك أن موسى واثق بأن الله منجيه.[1]

ولم يطل انتظار موسى لنصر الله- تعالى- بل جاءه سريعا متمثلا في قوله- سبحانه- فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ بفاء التعقيب والسرعة للدلالة على سرعة نصر الله ﷻ لموسى -عليه السلام- ومن آمن معه، وكانت النتيجة أن خرج موسى ومن معه سالمين، أما فرعون وجنوده فقد انطبق عليهم البحر فأغرقهم الله أجمعين، ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦﴾ الشعراء: ٦٤: ٦٦].[2]

*وهذا مؤمن آل فرعون لما أرادوا به كيداً قال قولته التي سجلها القرآن إلى قيام الساعة بكل ثقة ويقين وتوكل على الله -تعالى-: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] ماذا كانت النتيجة ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥] بفاء التعقيب والسرعة أيضاً.

---

(١) التحرير والتنوير (١٩ / ١٣٥)

(٢) ينظر: التفسير الوسيط (١٠ / ٢٥٢).

*والسيدة مريم البتول كانت تتعبد لله -تعالى- في بيت المقدس وكان يكفلها زكريا -ﷺ- فرأى العجب ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] كيف كان يقينها وتوكلها على الله رب العالمين. فلما رأى زكريا -ﷺ- قدرة الله ﷻ توجه إلى الله تعالى بأن يرزقه الولد فرزقه الله به.

*وغلام الأخدود كيف كان يقينه على الله -تعالى- عندما ذهب به الجنود ليلقوه من فوق الجبل فقال: " اللهم اكفنيهم بما شئت "(١) ارتجف الجبل فسقط الجنود الأقوياء وثبت الله قدم الغلام الضعيف. . . . وفي المرة الثانية: انكفأت السفينة فغرق الجنود الأقوياء ونجى الله الغلام الضعيف. . . . إنها إرادة الله -ﷻ- فإرادة الله فوق كل إرادة ومشيئته فوق كل مشيئة ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢ - ٨٣]

*وهذا نبينا محمد ﷺ إمام المتوكلين على الله رب العالمين مواقف يقينه وتوكله كثيرة لا تعد ولا تحصى منها: موقفه في الغار مع الصديق أبي بكر رضي الله عنه حيث قال أبو بكر رضي الله عنه: " نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا "(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ٢٣٠٠) ح: ٣٠٠٥، كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ١٨٥٤) ح: ٢٣٨١، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكيف كان يقينه ﷺ عندما كان نائماً تحت الشجرة فاخترط الأعرابي عليه سيفه وهو نائم، فاستيقظ الحبيب ﷺ وهو في يده صلتا، فقال الأعرابي: من يمنعك مني؟ فقال ﷺ: الله، - ثلاثا - فسقط السيف من يده.[١]

وليس معنى التوكل ترك الأسباب فإن الأخذ بالسبب سنة الله في خلقه قال الإمام أحمد في شرح حديث " لو أنكم تتوكلون على الله. . . " الآنف ذكره: "ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير لكن اعتمدوا على قوتهم وكسبهم وذلك لا ينافي التوكل ".[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤ / ٣٩) ح: ٢٩١٠، كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة.

(٢) نقلا عن تحفة الأحوذي (٧ / ٨)

المطلب الرابع: التوجه إلى الله تعالى بالدعاء

كلمة الدعاء في الأصل مصدر من قولك: دعوت الشيء أدعوه دعاءً يقال: دعا الرجلَ دعوًا ودعاءً: ناداه. والاسم: الدعوة. وأصله دعاوٌ؛ لأنه من دعوت.(١)

الدعاء شرعًا: استدعاءُ العبدِ ربَّه ﷻ العنايةَ، واستمدادُه منه المعونةَ. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرُّؤ من الحول والقوّة، فالدعاء: طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره.(٢)

و" الدعاء هو العبادة "(٣) كما أخبر النبي ﷺ. وهو دليل على التوكل على الله، لأن الداعي حال دعائه مستعين بالله، مفوض أمره إليه وحده دون سواه.

والدعاء صلة بين العبد وربه، وهو الحبل الممدود بين الله وبين عبيده، وبالدعاء يستجلب كل خير، ويدفع كل بلاء وضر، وتُستَمد البركة في الرزق والعمر والمال والولد، وهو قرب من الرحمن، ومطردة للشيطان.

والإنسان إذا أصابه الضر ينبغي عليه أن يتضرع إلى الله ﷻ وأن يستغيث برحمته ولا يسأل إلا الله ولا يستعين إلا بالله " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ

---

(١) لسان العرب (١٤ / ٢٥٧) مادة: [دعا].

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١ / ١٤١) وفيض القدير (١ / ٢٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٥ / ٢١١) ح: ٢٩٦٩ من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص: ٣٧٥] يَقُولُ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» [كتاب التفسير، باب: ومن سورة البقرة]. قال الألباني: صحيح (صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٢٧) رقم: ١٦٢٧)

اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ "[1]

فالإنابة إلى الله ﷻ والتوجه إليه بالتضرع من مقاصد الابتلاء كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٤٢، ٤٣)

ودعاء الله سبب لدخول الجنة. قال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨]

يخبر سبحانه عن أهل الجنة أنهم يسألون بعضهم بعضاً عن أحوال الدنيا وأعمالهم فيها، وعن السبب الذي أوصلهم إلى ما هم فيه من الكرامة والسرور أنهم كانوا في دار الدنيا خائفين من ربهم ومن عذابه، وأن الله سبحانه منّ عليهم بالهداية والتوفيق. ووقاهم عذاب الحريق. فضلاً منه وإحساناً، لأنهم كانوا في الدنيا يدعونه أن يقيهم عذاب السموم، ويوصلهم إلى دار النعيم.[2]

*** والأدلة على أن الدعاء من أعظم أسباب الرزق كثيرة، منها:**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤ / ٦٦٧) ح: ٢٥١٦ كتاب صفة القيامة قال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قال الألباني: صحيح (صحيح الجامع (٢ / ١٣١٧) رقم: ٣٠٥١).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٤ / ٢٩٤)

- قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: « أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي يكشف ضر المضرورين سواه؟ »[١]

- وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]. قال الإمام ابن عطيه: هذه الآية تفضل ونعمة ووعد من الله -تعالى- لأمة محمد ﷺ بالإجابة عند الدعاء.[٢]

- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ذكر في هذه الآية أنه جل وعلا قريب يجيب دعوة الداعي، والقريب من أسمائه تعالى الحسنى. ومعناه: القريب من عبده بسماعه دعاءه، ورؤيته تضرّعه، وعلمه به.[٣]

وقد بين سبحانه أنه يجيب دعوة الداعي وبين في آية أخرى تعليق ذلك على مشيئته جل وعلا وهي قوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ **[الأنعام: ٤١]**. فالتعليق بالمشيئة في دعاء الكفار كما هو ظاهر سياق الآية، والوعد المطلق في دعاء المؤمنين، وعليه فدعاؤهم لا يرد، إما أن يعطوا ما سألوا أو يدخر لهم خير منه أو يدفع عنهم من السوء بقدره.[٤]

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٢٠٣)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤ / ٥٦٦)

(٣) ينظر: محاسن التأويل (٢ / ٢٩)

(٤) ينظر: أضواء البيان (١ / ٧٤).

- والدعاء نهج الأنبياء، فكانوا يدعون الله - تعالى- بافتقار وتضرع إليه وثقة ويقين بوعد الله - ﷻ - فهذا نبي الله نوح -عليه السلام- يشكو أمره إلى الله ويلجأ إلى مولاه فاستجاب الله له وصدق - سبحانه - إذ يقول: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الصافات: ٧٥ - ٧٦)

- وهذا نبي الله إبراهيم -عليه السلام- دعا للبلد الحرام بقوله: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فاستجاب الله دعوته، فصار يجبي إليه ثمرات كل شيء، فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت والثمار فيها متوفرة والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب.(١)

- وها هو أيوب - عليه السلام - لما أصابه المرض ونزل به أنواع البلاء، وهو في ذلك كله صابر محتسب: تضرع إلى الله قائلاً: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣- ٨٤] فاستجاب الله له وأزال ما نزل به من بلاء كما قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، وقد جمع سيدنا أيوب عليه السلام في دعائه بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه ووجود طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته (سبحانه)، وشدة حاجته هو وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشفت عنه بلواه.(٢)

- ويونس عليه السلام لما التقمه الحوت ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، قال ﷺ: "دعوة ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٢٧)

(٢) ينظر: بدائع التفسير، ١٨٩/٣.

إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له"[١].

وزكريا – عليه السلام – دعا الله بالولد فاستجاب الله له ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠]، وغلام الأخدود استجاب الله دعاءه عندما قال: "اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ "[٢]، والثلاثة الذين في كانوا في الغار فرج الله عنهم بدعائهم وإخلاصهم.[٣]

ونبينا محمد ﷺ دعا الله تعالى يوم بدر مستقبلاً القبلة، وعليه رداؤه وإزاره فقال: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً" قال عمر بن الخطاب: فما زال يستغيث ربَّه ويدعوه، حتَّى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردَّاه، ثمَّ التزمه من ورائه ثمَّ قال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنَّه منجز لك ما وعدك"[٤]

كل هذه القصص إن دلت على شيء فإنما تدل على أن عبادة الدعاء من أعظم أسباب الرزق وتفريج الهموم وزوال الغموم، وانشراح الصدور، وتيسير الأمور.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٥/٥٢٩) كتاب الدعوات ح: ٣٥٠٥، قال الألباني: صحيح (صحيح الترغيب والترهيب (٢/١٣٠) رقم: ١٦٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ٢٣٠٠) ح: ٣٠٠٥، كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣ / ٩١) ح: ٢٢٧٢، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد.

(٤) وصدق الله عز وجل إذ قال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩] والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٨٣) ح: ١٧٦٣، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

المطلب الخامس: التفرغ لعمل الصالحات والتقرب إلى الله - ﷻ - بالطاعات

من أهم أسباب الرزق أن يُفَرِّغَ الإنسان من وقته لطاعة ربه وألا يجعل وقته كله للدنيا، فبطاعة الله وعمل الصالحات ينشرح الصدر ويطمئن القلب، ويُبَارَك في الرزق، وقد وعد الله ﷻ صاحب العمل الصالح بالحياة الطيبة فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، بين الله ﷻ أن من جمع بين الإيمان والعمل الصالح أحياه الله حياة طيبة وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقًا حلالًا طيبًا من حيث لا يحتسب. هذا الجزاء في الدنيا، أما جزاء الآخرة فقال عنه سبحانه: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من أصناف اللذات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.(١)

قال ابن عباس: في قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ هي الرزق الحلال، وهو رواية أبي مالك وأبي الربيع عن ابن عبّاس، وفي رواية عنه: هي القناعة والرضا بما قسم الله.(٢)

وفي قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ أسند الإحياء إلى ضمير الجلالة تشريفا وتكريمًا له كأنه قيل: فله حياة طيبة منا.(٣) وفيه ما فيه من الشرف والمكانة؛ لأن الذي يتولى إحياء المؤمن تلك الحياة

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤٤٩).

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٤٠)، والتفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٨١) وتفسير البغوي (٣/ ٩٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٤ / ٢٧٣)

الطيبة هو الله الغني الكريم تحقيقاً لقوله: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] يتولاهم الله -ﷻ- بلطفه ورعايته ونصره وتأييده.(١)

ولا بد من وقت لآداء وتحقيق العمل الصالح المذكور في هذه الآية والذي يحيى به صاحبه حياة طيبة، وهذا الوقت الذي يفرغه صاحبه لعمل الصالحات بمثابة الزكاة عن جميع أوقاته؛ ولذا فإن الله ﷻ يبارك له في وقته فينجز العمل الكثير في الوقت القليل.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] فيه إشارة إلى أن التفرغ لعبادة الله ﷻ – التي من أجلها خلق الله الجن والإنس – سبب عظيم من أسباب الرزق، وبيان ذلك أنه لما ذكر قضية الرزق بعد العبادة التي هي مقصد الخلق وطمأن الخلق على رزقه، وبين سبحانه أنه المتكفل بأرزاق العالمين، علم منه أنه لا ينبغي للإنسان أن ينشغل عن مقصد خلقه من أجل طلب رزقه أو يلتهي بطلب معاشه عن إرضاء ربه، بل يجب عليه أن يوازن بين مطالب الدنيا وأمور الآخرة، وليعلم يقينا أن الوقت الذي يقضيه في عمل الآخرة سبب عظيم من أسباب تيسير رزقه وبركته وهذا المعنى مؤكد في الحديث القدسي: "إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسِدَّ فَقْرَكَ وَإِنْ لَا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فقرك ".(٢)

ومن أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه آداء الفرائض لقول النبي ﷺ: "وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته

---

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٢ / ٣١٦)

(٢) أخرجه ابن ماجه في سنن (٢ / ١٣٧٦) ح: ٤١٠٧، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، وصححه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب (٣ / ١٢٧) رقم: ٣١٦٥

كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه".[١]

وفي مقدمة هذه الفرائض: الصلاة، والدليل على أن إقامة الصلاة من أعظم أبواب الرزق قوله تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طـه: ١٣٢].

قال الحافظ ابن كثير: " قوله: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ الذاريات: ٥٦] ".[٢]

ورح الصلاة هي الخشوع وهو أيضاً سبب عظيم من أسباب الرزق يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢] ومعنى خشوعهم في الصلاة: تذللهم فيها لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها.[٣] والفلاح هو الظفر بالمطلوب في الدنيا والآخرة.[٤]

قال ابن القيم: "الصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلوب، ومطردة للداء عن الجسد، ومنوِّرة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨ / ١٠٥) ح: ٦٥٠٢، كتاب الرقائق، باب التواضع.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٢٣٠).

(٣) جامع البيان (١٩ / ٦٩٤).

(٤) ينظر: المفردات للراغب الأصفهاني (١ / ٨٦).

للقلب، ومبيِّضة للوجه، ومنشطة للجوارح والنفس، وجالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظة للنعمة، ودافعة للنقمة، ومنزلة للرحمة، وكاشفة للغمة"[١]

وقد أمرنا الله -ﷻ- أن نستعين بالصلاة في قضاء الحوائج وكشف الكربات فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] أي: اطلبوا المعونة على أموركم (بالصبر) وهو: حبس النفس على ما تكره (والصلاة) أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها، ولأن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر.[٢] ولذا كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.[٣] قال حذيفة ﷺ: " رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان إذا حزبه أمر صلى"[٤] وقال علي: " لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله ﷺ يصلي ويدعو حتى أصبح ".[٥]

ومن الأعمال التي يُستَمْطَرُ بها الأرزاق وتحل بها البركات: كثرة ذكر الله -ﷻ- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨]

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/٢٠٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١ / ٢٥٢)

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ولفظه: " كَانَ النَّبِيُّ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى " [كتاب صلاة التطوع، باب وَقْتِ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺمِنَ اللَّيْلِ. (١ / ٥٠٧) قال الألباني: حسن [صحيح وضعيف سنن أبي داود - (٣ / ٣١٩) رقم: ١٣١٩]

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣ / ١٥٤) رقم: ٢٩١٢، بطوله في قصة الخندق عن عبد العزيز أخي حذيفة عن النبي مرسلا. [ينظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري - للزيلعي (١ / ٦٠)]

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٦٣) رقم: ١١٦١. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

والمعنى: الذين آمنوا وتسكن وتستأنس قلوبهم وتهدأ نفوسهم بذكر الله، ألا فانتبهوا فإن بذكر الله تستأنس وتسكن قلوب المؤمنين، فلا يشعرون بقلق واضطراب من سوء العقاب، على عكس الذين لا يذكرون الله ﷻ، وجيء بصيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان واستمراره.(١) **و ﴿أَلَا﴾ في قوله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾** تفيد الحصر أي: حصر طمأنينة القلب وراحته وسعادته في ذكر الله تعالى، فبذكر الله وحده دون غيره تطمئن القلوب، ولا يمكن للقلب أن يطمئن لشيء سوى ذكر الله تعالى.(٢)

وأي قيمة للأسباب المادية من الغنى والمال والمأكل والمشرب والمسكن والمنكح والمركب، وغير ذلك من وسائل الترف، إذا كان صاحبها مكتئبًا قلق القلب ضيق الصدر! وصدق الله ﷻ إذ قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] جرت سنة الله -ﷻ- أنه لا يُعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلمت عليه حياته وتشوس(٣) عليه رزقه.(٤)

وحتى يأتي الذكر بتمام ثمرته لا بد أن يكون نابعًا من قلب مستحضر عظمة الله -ﷻ- تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢] **وقوله** ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣٤٠/٢).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣ / ٩٧)، تفسير السعدي (ص: ٤١٧).

(٣) من شاس يشوس شوسا، ، يقال: تشوس عليه الأمر: أي: اختلط، والتشاوس: أن يقلب رأسه ينظر إلى السماء بإحدى عينيه والشوس النظر بإحدى شقي العينين. [ينظر: لسان العرب - (٦ / ١١٥) مادة: شاس].

(٤) ينظر: حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٦ / ٢٣١)

قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥] فعلامة كمال حبّ الله دوام ذكره باللسان والقلب، فرحًا وسروراً وشوقًا إليه وأنسًا به، وحلاوةً بمناجاته.(١)

* أيضا من الأدلة على أن التفرغ لطاعة الله ﷻ وذكره من أسباب الرزق قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨] ففي تذييل(٢) هذه الآيات بقوله ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ إشارة إلى أن التفرغ لطاعة الله تعالى وذكره ومجاهدة النفس على ذلك، والتعلق ببيوت الله ﷻ وإعمارها بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن من أعظم الوسائل التي يفتح الله بها الأبواب ويهيأ بها الأسباب، ويرزق بها العبد من حيث لا يحتسب.

* وهذه هي السيدة مريم بنت عمران، نذرتها أمها لله محررة تخدم مسجد بيت المقدس، وكانوا يتقربون بذلك، ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبتل، وكانت في كفالة زوج خالتها: زكريا -عليه السلام- نبي بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم، الذي يرجعون إليه في دينهم. ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧] قال ابن كثير: فذكر أنه كان يجد عندها ثمر الشتاء في الصيف

---

(١) قوت القلوب (٢ / ١٠٤).

(٢) والتذييل هو: أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه. (البرهان في علوم القرآن (٣ / ٦٨)

وثمر الصيف في الشتاء[١] قال مجاهد: في قوله (وجد عندها رزقًا): عنبا وجده زكريا عند مريم في غير زمانه.[٢] فلما رأى زكريا عليه السلام هذه العجائب دعا ربه بأن يرزقه الولد قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨ - ٣٩]، لما رأى زكريا، عليه السلام، أن الله تعالى يرزق مريم، عليها السلام هذا الرزق وكان شيخا كبيرا قد ضعف ووهن منه العظم، واشتعل رأسه شيبا، وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرا، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خفيا، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ۖ﴾ أي: من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي: ولدا صالحا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: خاطبته الملائكة وأسمعته، وهو قائم يصلي في محراب عبادته، ومحل خلوته، ومجلس مناجاته، وصلاته. ثم أخبر عما بشرته به الملائكة بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعيسى ابن مريم ﴿وَسَيِّدًا﴾ أي: في العلم والعبادة والخلق والدين ﴿وَحَصُورًا﴾: هو الذي لا يأتي النساء، وقيل معناه: أنه معصوم من

---

(١) تفسير ابن كثير (٥ / ٢١٩). وهذا الأثر ذكره الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان (٦ / ٣٥٥) من طريق: موسى بن عبد الرحمن (الهَمْدَاني)، قال: حدثنا عمرو بن حماد القَنَّاد، قال: حدثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي. وهذا الإسناد حسنه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه. (ينظر: جامع البيان ت شاكر (١ / ١٥٦) حاشية ٢).

(٢) أخرجه الطبري بسند صحيح (جامع البيان (٦ / ٣٥٤) وينظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١ / ٤١٣)

الذنوب، أي لا يأتيها كأنه حصر عنها، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته.[١]

فانظر كيف رزق الله – ﷻ – مريم – عليها السلام– بعبادتها وكيف تأثر بذلك زكريا – عليه السلام – فدعا الله بالولد مع انقطاع الأسباب فرزقه الله بالولد. ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨﴾ [النور: ٣٨].

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٧).

المطلب السادس: شكر الله -ﷻ- على نعمه

الشكر هو: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده، ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة.(١) قال ابن القيم: "جعل الله الشكر سببًا للمزيد من فضله وحارسًا وحافظًا لنعمته، وموصلاً الشاكر إلى مشكوره ".(٢)

والشكر لا يكون باللسان فقط بل هو نطق باللسان واعتراف بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، فشكر اللسان: الاعتراف بالنعمة والثناء على المنعم، وشكر الجوارح: استعمال نعم الله تعالى في طاعته، وشكر الجنان هو: إقرار القلب بإنعام الرب، وخضوع العبد لربه وحبه له ومعرفة عجزه عن الشكر.(٣)

وقد أمر ﷻ عباده بالشكر فقال: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢. وقال أيضًا: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ [الضحى: ١١] كما وعد بالجزاء على الشكر، فقال: ﴿ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وبين سبحانه أن قليلا من عباده هم الشاكرين فقال: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]. قال الإمام الطبري عند قوله تعالى: ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ أي لا تجحدوا إحساني إليكم فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، وأزيدكم فأتمم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادي، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته، ومن كفرني حرمته، وسلبته ما أعطيته.(٤)

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين (١٣١/٤)

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢٥٢/٢)

(٣) ينظر: الرسالة القشيرية (١ / ٣١٢)

(٤) ينظر: جامع البيان (١٣٥/٢)

كما بين سبحانه أن الشكر يكون بالعمل فقال: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [سبأ: ١٣]، وقد فسَّر الإمام الطبري ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ في سورة الفاتحة بالشكر الخالص لله تعالى[١] بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد.[٢]

والدليل على أن شكر الله ﷻ على نعمه من أعظم أسباب الرزق: قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ [إبراهيم: ٧] بين الله ﷻ في هذه الآية أن الشكر فيه بقاء النعم الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة.[٣]

وقد ضرب القرآن الكريم لنا أروع أمثلة الشاكرين وبين ما أعده الله لهم من الجزاء والثواب في الدنيا والآخرة: فهذا نبي الله داود وولده سليمان -عليهما السلام- كانا شاكرين لله تعالى فأكرمهما الله ﷻ بمزيد من النعم في الدنيا ولهما عند الله الزلفى وحسن المآب، قال -سبحانه- إخباراً عن شكرهما: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥] ولذا كانت النعم تترى على هذين النبيين الكريمين، **فمن النعم التي أكرم الله بها داوود -عليه السلام- ما أخبر به في قوله تعالى:** ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١] **وقوله في**

---

(٢) جامع البيان (١/١٣٥)

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (١٩ / ٦٦).

موضع آخر: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ١٨ – ٢٠].

ومن النعم التي أعطاها الله لسليمان – عليه السلام – ما أخبر به في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ **[النمل: ١٦ – ١٧]** وقوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ **[ص: ٣٦ – ٤٠]**

والشكر نهج الأنبياء جميعاً قال الله تعالى إخباراً عن نبيه نوح – عليه السلام – ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، **وعن إبراهيم – عليه السلام –:** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ﴾ [النحل: ١٢٠ –١٢١] وقال إخباراً عنه أيضاً: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] **وعن نبيه سليمان:** ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ **[النمل: ٤٠]**

وهذا نبينا محمد ﷺ سيد ولد آدم، الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كان يصلي من الليل حتى تتورم قدماه، حتى تتفطر قدماه، فقالت له السيدة عائشة رضي الله عنها: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»(١)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢ / ٥٠) ح: ١١٣٠، كتاب تقصير الصلاة، باب: قيام النبي ﷺ الليل حتى ترم قدماه.

وبين القرآن الكريم لنا عاقبة الجحود والنكران وهي الخذلان والنكال في الدنيا والآخرة فقال سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]

وقصص أصحاب الجحود والنكران كثيرة في القرآن الكريم منها قصة أصحاب الجنة ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ [القلم: ١٧ – ١٨] فكانت النتيجة ما ذكرها الله -ﷻ- بقوله: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ [القلم: ١٩ – ٢٠]، **وقصة صاحب الجنتين** لما كفر نعمة الله كانت عاقبته: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٢]، **وقارون** بعد المال والجاه كانت عاقبته: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١]

وأصحاب سبأ أعطاهم الله النعم والجنات والثمار كما أخبر -سبحانه- ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥] فلما كفروا نعمة الله كانت عاقبتهم ﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبأ: ١٦]

فهذا هو جزاء كفر النعمة وهو الزوال والنقمة والحسرة على أصحابها في الدنيا والآخرة.

والسنة الكونية في ذلك هي قول الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٥٣] أي: ذلك العذاب الذي أوقعه الله بالمكذبين وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم، فإن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يبقيها ويزيدهم منها، إن ازدادوا له شكرا، حتى

يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرا، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم، ولم يعاقبهم إلا بسبب كفرهم وظلمهم وجحودهم.(١)

المطلب السابع: الإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

الإنفاق في سبيل الله من أعظم أبواب الرزق، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ **[سبأ: ٣٩]**. والمراد بالإنفاق: الإنفاق المرغب فيه في الدين كالإنفاق على الفقراء والإنفاق في سبيل الله لنصر الدين، والإنفاق على القريب، أو الجار، فيشمل النفقة الواجبة، أو المستحبة، وظاهر الآية أن إخلاف الرزق يقع في الدنيا وفي الآخرة.(٢) قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب".(٣)

وهذه الآية تحقق معنى قوله ﷺ: "ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزِلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفا، ويَقولُ الآخَرُ: اللّهمَّ أعطِ مُمسِكًا تلَفًا".(٤) وقوله: " اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفا " أي عوضًا عظيمًا وهو العوض الصالح في الدنيا والعقبى في الآخرة، ومعنى الحديث: أن من سنن الله -ﷻ أن يخلف على المنفق وييسر له أسباب الرزق ويرفع شأنه، وأن يحرم البخيل من

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (١ / ٣٢٤)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢/٢٢١)، تفسير السعدي (ص: ٦٨١)

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٩٥٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنسيره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)، رقم الحديث (١٣٧٤، ٢/٥٢٢).

ذلك.[١] وذلك لأنّ الله مَلِك عليّ وهو غنيّ مليء، فمن أنفق فقد أتى بما هو شرط حصول البدل، ومن لم ينفق فالزوال لازم للمال، ولم يأت بما يستحقّ عليه البدل.[٢]

وقد أكد الله ﷻ وعده بإخلاف الرزق بمؤكدات الأول: صيغة الشرط. والثاني: جعل جملة الجواب اسمية، والثالث: تقديم المسند إليه في قوله: " فهو يخلفه ".[٣]

ومن الأحاديث التي تؤكد معنى هذه الآية أيضًا قوله ﷺ: "قال الله: أَنْفِق يا بنَ آدم أُنْفِقْ عليك".[٤] ففي الحديث حث على الصدقة والبذل والإنفاق في سبيل الله، وبيان كون الصدقة من أعظم أسباب الرزق والبركة فيه ومضاعفته، وإخلاف الله على العبد ما أنفقه في سبيله.[٥]

وقد بين الله -ﷻ- أن الشيطان يعد الإنسان ويمنيه بالفقر وفقد الأموال، بينما يعد الله- ﷻ- المؤمنين بغفران ذنوبهم بتأدية الصدقة فقال: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] ففي الآية الكريمة حث على الإنفاق، ونهي عن الإمساك، فالإنسان بين داعيين: داعي الرحمن، يدعوا إلى الخير، ويعد عليه بالفضل والثواب العاجل والآجل، وإخلاف ما أنفق، وداعي الشيطان، الذي يحث على الإمساك ويخوفه، إن أنفق أن يفتقر فمن كان مجيبا لداعي الرحمن، وأنفق مما رزقه الله، فليبشر بمغفرة

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح ٣٦٦/٤ وتفسير المنار ٧٤/٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ٢٦٣/٢٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٢١/٢٢).

(٤) متفق عليه [أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (٧ / ٦٢) ح: ٥٣٥٢، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٢ / ٦٩٠) ح: ٩٩٣]

(٥) ينظر: شرح الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم ٢ / ٦٩٠.

الذنوب، وحصول كل مطلوب، ومن كان مجيبا لداعي الشيطان، فإنه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، كما أن وعد الشيطان لابن آدم بالفقر ليس شفقة عليه وليس نصيحة له، وإنما صرفًا له عما ينفعه، وأما الله ﷻ فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة.(١)

والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة والإنفاق وكلها تبين أن الله -ﷻ- يخلف على من ينفق ويتصدق ويحرم من يمسك ويبخل منها قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ ﴾ [الليل: ٥ - ١١]. وهذا خبر من الله -ﷻ- بأنه سييسر لمن أنفق وتصدق ويخلف عليه بكل خير، كما ييسر له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك، أما من أطاع نفسه فبخل وترك الإنفاق واستغنى عن الله وكذب بما أوجب الله عليه تصديقه، فسيصل للخصال الذميمة التي توصله إلى العسر والمشقة والشدة، فيؤثر الغي على الرشد، والباطل على الحق، والبخل على السخاء، فتكون عاقبته فرطا، ونهايته الخسران والبوار.(٢)

والمؤمن حال إنفاقه عليه أن يصدق الخبر وإن خالف النظر فالنظر يرى أن المال ينقص بالصدقة والخبر يعده بالزيادة والإخلاف نحو قوله: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] فالعين ترى أن الربا زيادة وأن الصدقات تنقص المال لكن الخبر بمحق الربا ونماء الصدقات وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٧٤).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٩٢٦) والتفسير الوسيط (١٥ / ٤٢٠)

﴿٣٩﴾ [الروم: ٣٩] وقول النبي ﷺ: " مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ "[١]، أي ما نقصت صدقة مالا أو بعض مال أو شيئا من مال بل تزيد أضعاف ما يعطى منه بأن ينجبر بالبركة الخفية أو بالعطية الجلية أو بالمثوبة العلية "[٢]

كما بين سبحانه أنه يضاعف الصدقة وينمي ثمارها في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فمثل المتصدق كمثل الزارع إذا كان حاذقا في عمله وكان البذر جيدا وكانت الأرض عامرة يكون الزرع اكثر. فكذلك المتصدق إذا كان صالحا والمال طيبا ووضع في موضعه يكون الثواب اكثر.[٣]

والدليل على حرمان من يبخل ويمسك قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ [محمد: ٣٨] أي ها أنتم معشر المخاطبين تُدعون للإنفاق في سبيل الله، وقد كلفتم ما تطيقون فمنكم من يشح عن الإنفاق ويمسك عنه، ومن بخل عن الإنفاق في سبيل الله فإنما يعود ضرر بخله على نفسه.[٤]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ٢٠٠١) ح: ٢٥٨٨، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع.

(٢) تحفة الأحوذي (٦ / ١٤٩)

(٣) ينظر: روح البيان (١ / ٤١٨)

(٤) ينظر: صفوة التفاسير (٣ / ١٩٩)

وقوله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: " أَنْفِقِي، وَلَا تُحْصِي، فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ"[١] قال النووي: "ولا تحصي. . . " معناه: يمنعك كما منعت ويقتر عليك كما قترت، ويمسك فضله عنك كما أمسكته.[٢] وفي الحديث بيان أن الصدقة تنمي المال وتكون سببًا إلى البركة والزيادة فيه، وأن من شح ولم يتصدق فإن الله يوكي عليه ويمنعه من البركة في ماله والنماء فيه، كما يدل على أن السخاء يفتح أبواب الرزق والبخل بخلافه.[٣]

كل هذه الأدلة تدل على أن التصدق والإنفاق سبب لجلب الأرزاق وحصول البركات وتنزل الرحمات وكثرة الخيرات، كما تدل على أن المتصدق والمنفق سيخلف الله -ﷻ- عليه في الدنيا والآخرة، والشواهد والقصص الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى[٤]؛ فكل إنسان منا يشاهد فضل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢ / ٧١٣) ح: ١٠٢٩، كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء.

(٢) شرح صحيح مسلم (١١٩/٧).

(٣) ينظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (٩٤/٦)

(٤) من هذه القصص: قصة صاحب الحديقة فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " بينما رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فانتهى إلى الحرة، فإذا هي في أذناب شراج، وإذا شرجة من تلك الشراج، قد استوعبت ذلك الماء كله، فتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان، بالاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله، لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا، فإني أنظر إلى ما خرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه ". [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣ / ٣٢٣) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وأذناب شِراج: جمع شَرْج -بفتح فسكون-: هو مَسيلِ الماءِ من الحَرَّة إلى السهل، ويقال: الشَّرج بفتح فسكون للجنس، ويقال للواحد: شَرْجة بزيادة التاء. والأذناب: الأسافل، أي: في أسافل المسايل والأودية. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٤٥٦) مادة: شَرَجَ، لسان العرب (١ / ٣٩١) مادة: ذَنَب].

الله عليه وإكرام الله له وإخلاف الله عليه عندما يتصدق وينفق ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [غافر: ٨١].

المطلب الثامن: صلة الرحم

الرحم: يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا، وسواء كان ذا محرم أم لا، وقيل: هم المحارم فقط. والأول هو المرجح؛ لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام وليس كذلك.(١) وصلة الرحم تكون بالإحسان إليهم على حسب حال الواصل والموصول فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك.(٢)

وقد أمر الله – ﷻ – بصلة الرحم وبين أنها من صفات أهل الجنة فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد: ٢١] وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبته ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله. ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوقهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولا وفعلا ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملا موفرًا من الحقوق الدينية والدنيوية.

والسبب الذي يجعل العبد واصلًا ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب.(٣)

---

(١) ينظر: فتح الباري (١٠ / ٤١٤)

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢ / ٢٠١)

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٤١٦)

وقد حذر الله ﷻ من قطيعة الرحم فقال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد: ٢٢ – ٢٣] قال ابن كثير – رحمه الله –: " نهي عن الإفساد في الأرض عموما، وعن قطع الأرحام خصوصا، بل قد أمر الله – تعالى – بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال"(١).

وقد تلا النبي ﷺ هذه الآية عند حديثه عن الرحم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك " ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد: ٢٢ – ٢٣](٢).

ومما يدل على أن أن صلة الرحم من أعظم أسباب الرزق والبركة قوله ﷺ: "من سرَّه أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه".(٣)

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧ / ٣١٨)

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة [أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب {وتقطعوا أرحامكم} [محمد: ٢٢] (٦ / ١٣٤) ح: ٤٨٣٠، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٩٨٠/٤) ح: (٢٥٥٤)]

(٣) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه [أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق (٥٦/٣) ح: ٢٠٦٧، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٤ / ١٩٨٢) ح: ٢٥٥٧]، وظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١] والجمع بينهما من وجهين: أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة =

وعند الترمذي: " صلة الرحم محبة في الأهل، مَثْرَاةٌ في المال، منسأةٌ في الأثر"[1].

وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، فصلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلا: إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩] فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه ألبتة. (ينظر: فتح الباري ٤١٦/١٠)

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤ / ٣٥١) ح: ١٩٧٩، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعليم النسب، قال الألباني: صحيح [صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٣٣٥) رقم: ٢٥٢٠]

المطلب التاسع: الهجرة في سبيل الله - ﷻ -

والمراد بالهجرة: الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان للتمكن من عبادة الله -ﷻ- وإقامة دينه، وهذه الهجرة تؤتي ثمارها إذا كانت لإرضاء الله - ﷻ - وإقامة دينه ونصر المؤمنين.(١)

وقد جرت سنة الله - ﷻ - أن الهجرة من أعظم وسائل الرزق والفتح قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠]. أي: ومن يفارق أرض الشرك وأهلها في سبيل الله وابتغاء مرضاته هربًا بدينه إلى أرض الإسلام وأهلها المؤمنين، لإقامة دين الله وطريقه الذي شرعه لخلقه، يجد التمنع الذي يتحصن به، ويراغم به الأعداء، وبراحًا، ورزقًا واسعًا، فالمراغم مشتمل على مصالح الدين، والسعة مشتملة على مصالح الدنيا.(٢)

ثم أخبر جل ثناؤه عمن خرج مهاجرًا من أرض الشرك فارّا بدينه إلى الله وإلى رسوله، إن أدركته منيته قبل بلوغه أرض الإسلام ودار الهجرة، فقال: من كان كذلك ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، وذلك ثواب عمله وجزاء هجرته، وفراق وطنه وعشيرته إلى دار الإسلام وأهل دينه.(٣)

وقد رضي الله-ﷻ- عن المهاجرين -الذين تركوا أوطانهم ابتغاء مرضاة الله وطلبًا لإقامة دينه - والأنصار ومن تبعهم بإحسان فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]. قال ابن جرير: "والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان

---

(١) ينظر: التعريفات ص/٢٧٧، المفردات للراغب ص/٥٣٧ مادة [هجر].

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢ / ٣٩١) وتفسير السعدي: (١/ ٣٩٣).

(٣) جامع البيان (٤/ ٢٣٨).

بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم، والأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ يقول: والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام طلبًا رضا الله ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ "[(١)].

* ومما يؤكد الهجرة في سبيل الله من أعظم أبواب الرزق أن الصحابة - رضي الله عنهم - لما تركوا أوطانهم وهاجروا في سبيل الله -عز وجل- لإقامة دينه واتباع شرعه واتباع نبيه ﷺ، وسع الله عليهم، وهيأ لهم الأسباب، وفتح لهم الأبواب، ومكن لهم في الأرض وأصبحوا قادة للأمم يقيمون شرع الله في البلاد ويحكمون به بين العباد.

والحمد لله رب العالمين.[(٢)]

---

(١) جامع البيان (٧/ ٦).

(٢) كانت هذه أهم أسباب الرزق الإيمانية التي ذكرت في القرآن الكريم، وهناك أسباب إيمانية أخرى فصلتها السنة النبوية وأشار القرآن الكريم إلى بعضها من هذه الأسباب:

- الإحسان إلى خلق الله قال النبي ﷺ: " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. . . . " [أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ٢٠٧٤) ح: ٢٦٩٩، كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر].

- المتابعة بين الحج والعمرة قال ﷺ: " تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ " [أخرجه الترمذي في سننه (٣ / ١٦٦) ح: ٨١٠، كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة وصححه الألباني: (صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٠) رقم: ١١٣٣]

=

الخاتمة

وبعد أن عشت في رحاب هذا البحث الشيق ساعات مباركة يمكن أن أخرج ببعض النتائج والتوصيات:

أولاً: نتائج البحث:

١- جرت سنة الله ﷻ أن صلاح الأحوال بصلاح الأعمال وفساد الأحوال بفساد الأعمال.

٢- ينبغي على الإنسان أن يجمع بين أمرين: السعي في الدنيا والتوكل على الله -تعالى-، فيأخذ بالأسباب لكن لا يتوكل إلا على الله -ﷻ- مسبب الأسباب فالنفع والضر بيد الله وحده لا شريك له.

٣- الله -ﷻ- قدر للإنسان رزقًا لا يزيد ولا ينقص، فالانشغال الزائد وشدة الهم في طلب الرزق مذموم؛ لأنه يشغل الإنسان عن مقصد وجوده وتحقيق عبوديته.

٤- الأخذ بالأسباب الإيمانية يطمئن القلب ويشرح الصدر ويفرج الهم ويبارك في الرزق؛ وبها

- الزواج بنية العفاف قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢﴾ [النور: ٣٢]. وقال ﷺ: " ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ " [أخرجه الترمذي في سننه (٤ / ١٨١) ح: ٨١٠، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم، قال الألباني: حسن (صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٥١) رقم: ١٣٠٨]

- التبكير لطلب الرزق قال ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا». وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ «وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهُوَ صَخْرُ بْنُ وَدَاعَةَ» [أخرجه أبو داود في سننه (٣ / ٣٥) ح: ٢٦٠٦، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، قال الألباني: صحيح (صحيح أبي داود (٧ / ٣٦٠)]

يستجلب العبدُ معية الله ونصره وتأييده.

٥- عطاء الله للعبد ليس عطاءً ماديـًا فحسب، فأسمى منه العطاء القلبي الروحي فنفعه باق ممدود، ونفع الأول فان محدود.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي نفسي وإخواني الباحثين بألا نغفل عن هذه الموضوعات التي ينتفع منها العامة والخاصة والتي تمس واقعنا وحياتنا.

٢- أسباب النصر والتمكين والمعية والكفاية كثيرة في القرآن الكريم تحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب.

٣- الاستفادة من القصص القرآني؛ فإنه مليءٌ بالحكم والفوائد التي ترتقي بحياة الفرد والمجتمع.

٤- أوصي نفسي ومن يقرأ هذا البحث بتفريغ وقت في اليوم من شواغل الدنيا، يلزم به الإنسان نفسه للقيام بالأعمال الإيمانية من (ذكر الله - وتلاوة القرآن - والدعاء - والاستغفار) وغير ذلك. . فبها تفتح الأبواب وتهيأ الأسباب. ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والحمد لله رب العالمين.

أهم مراجع البحث

- القرآن الكريم.
- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ) دار المعرفة – بيروت
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر – بيروت، سنة النشر: ١٤٢٠ هـ.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي.
- التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية – بيروت
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير المحقق: سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.
- تفسير المراغي (مطبعة مصطفى البابى الحلبي – الطبعة – الأولى، ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م)
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف: د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة ووالتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ م.
- تهذيب اللغة، تأليف: أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ٢٠٠١م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، دار عالم الكتب،

الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، تحقيق: هشام سمير البخاري.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)
- سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي - بدون، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن أبي داود السجِسْتاني، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- سنن الترمذي، طبعة مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: الشيخ الألباني.
- صحيح البخاري المسمى: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.
- صحيح الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الخامسة
- صحيح مسلم المسمى: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب المكي

(المتوفى: ٣٨٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م

- الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري - دار الكتاب العربي - بيروت -الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- مجمل اللغة لابن فارس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان.
- محاسن التأويل للقاسمي، دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي - بيروت
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: الإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة - مصر.
- معالم التنزيل للبغوي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي - الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- مفاتيح الغيب والتفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر التيمي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- المفردات للراغب الأصفهاني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

- المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ٥
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ٦
المقدمة ٧
التمهيد ٩
أولاً: التعريف بالسبب: ٩
ثانياً: التعريف بالرزق: ١٠
ثالثًا: التعريف بأسباب الرزق الإيمانية: ١٠
رابعًا: ذكر بعض أنواع الرزق: ١١
المبحث الأول: بيان بعض السنن الإلهية المتعلقة بموضوع الرزق..... ١٣
السُّنَّةُ الأولى: الله -ﷻ- تكفل بأرزاق العالمين مؤمنهم وكافرهم:..... ١٣
السُّنَّةُ الثانية: الرزق مقدر للإنسان منذ أن كان في بطن أمه. ١٤
السُّنَّةُ الثالثة: أن الله -ﷻ- جعل تفاوتًا بين الناس في الرزق..... ١٥
السُّنَّةُ الرابعة: الذنوب سبب لتضييق الأرزاق، والتقرب إلى الله - ﷻ - بالأعمال الصالحة سبب لكشف الكربات وتنزل الرحمات. ١٦
السُّنَّةُ الخامسة: أن الله - تعالى - قد يوسع على الكافر أو العاصي استدراجًا له..... ١٨
المبحث الثاني: أسباب الرزق الإيمانية في القرآن الكريم..... ٢٠
المطلب الأول: الاستغفار. ٢٠
* تعريف الاستغفار:..... ٢٠
* الفرق بين التوبة والاستغفار. ٢٢
المطلب الثاني: تقوى الله ﷻ..... ٢٦

المطلب الثالث: اليقين والتوكل ٣٢
المطلب الرابع: التوجه إلى الله تعالى بالدعاء ٣٩
المطلب الخامس: التفرغ لعمل الصالحات والتقرب إلى الله -ﷻ- بالطاعات..... ٤٤
المطلب السادس: شكر الله - ﷻ - على نعمه ٥٢
المطلب السابع: الإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى ٥٦
المطلب الثامن: صلة الرحم..... ٦١
المطلب التاسع: الهجرة في سبيل الله - ﷻ- ٦٤
الخاتمة..... ٦٦
أولاً: نتائج البحث: ٦٦
ثانيًا: التوصيات: ٦٧
أهم مراجع البحث..... ٦٨
فهرس موضوعات البحث ٧٢

تم بحمد الله تعالى